أخلاقيات العلم بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث الماوردي ودافيد رزنيك أنموذجًا

Ethics of Science between Islamic Thought and Modern Western Thought Al-Mawardi and David Resnik as an example

محمد فتحي فرج *
mffbayomy@yahoo.com

ملخَّص:

تناقش هذه الورقة بعض أخلاقيات العلم وآداب العالم والمتعلم أو الباحث –بشـــكل عام– لدى نموذجين: أحدهما يمثل الثقافة التراثية ممثلة في واحد من أعلامها البارزين وهو الماوردي لنرى كيف نظر ببصـــره الثاقب إلى أخلاقيات العلم، سواء لدى العالم أو طالب العلم.

ولكي تكتمل الصـورة فقد رأينا أن يكون النموذج الثاني لكاتب غربي حديث، اهتم بالكتابة في موضـــوع أخلاقيات العلم، وله فيه مقالات ومشـــاركات متنوعة ومنها مُؤَلفٌ حديث ســـنتعرض لبعض ماورد فيه مما يمس هذا الجوانب المهمة المختلفة.

وفي النهاية تقارن الورقة بين وجهتي نظريهما لنرى إن كان ثمة أوجه شـــبه بينهما.

الكلمات المفتاحية: الماوردي؛ آداب العالم؛ آداب المتعلم؛ ديفيد رزنيك؛ أهمية العلم؛ أخلاقيات العلم والبحث العلمي.

* الأستاذ بجامعتي المنوفية ومصر للعلوم والتكنولوجيا.

Abstract:

This paper discusses some of the ethics of science and the ethics of the scholar and the learner or researcher - in general – from the point of view of 2 different thinkers: one of them represents the traditional Islamic culture represented in one of its prominent figures, Al-Mawardi, to see how he looked with his insight into the ethics of science, whether the scientist or the seeker of knowledge.

In order to complete the picture, we have seen that the second example should be a modern Western writer, who is interested in writing on the field of the ethics of science, and he has various articles and contributions in it, including a recent book that has been discussed herein.

Finally, the paper compares the two points of view they show to clarify if there is any similarity between them.

Keywords: Al-Mawardi, Ethics of the scholar, Ethics of the learner, David Resnick, The Importance of Science, The Ethics of Science and Scientific Research.

مقدمة:

من أهم أســـباب تدهور منظومة العلم والتعليم غياب أخلاقياتهما الحاكمة والحارسة على سلامة هيكلهما، والضامنة لاستمرار شعلتهما وقادة وهاجة، تهب نارها المقدســة لترفد الحياة بقيم التطور والتقدم، بل وتمنحها أيضــا طاقة الحياة ذاتها في جميع المجالات، وهي الطاقة اللازمة للنمو والازدهار، والضـــرورية للاستدامة والبقاء.

وسوف نتعرض في هذه الورقة لنموذجين: أحدهما يمثل الثقافة التراثية ممثلة في واحد من أعلامها وعلمائها البارزين، وهو الماوردي؛ لنرى كيف نظر ببصــره الثاقب إلى أخلاقيات العلم ثم صورها بقلمه البديع، سواء بالنسبة للعالم أو طالب العلم.

ولكي تكتمل الصورة فقد آثرنا أن يكون النموذج الثاني لكاتب غربي حديث، اهتم بالكتابة في موضـــوع أخلاقيات العلم، وله فيه مقالات ومشـــاركات متنوعة ومنها مُؤَلفٌ حديث سنتعرض لبعض ماورد فيه مما يمس هذا الجوانب المهمة.

تراثنا وآداب العالم والمتعلم:

يحفل التراث العربي والإســـلامي – بشـــكل عام، والتربوي منه على وجه الخصوص ـ بالكثير من المؤلفات التي تبحث في بيان أهمية العلم، وآداب العالم وطالب العلم، وما ينبغي لكل منهما أن يتحلى به من ســـجايا ويتصـــف به من صـــفات. ومن المؤكد أن تعدد الكتب والمؤلفات حول هذه المســـائل، في تراثنا العربي الإســـلامي تدل على أصـــالة وعمق هذه الأعراف والقيم في هذا التراث المجيد.

ولعل هذا الموضـــوع قد بات على رأس الأولويات الآن، في هذا الوقت بالذات الذي تآكلت فيه الأخلاقيات وتراجعت فيه القيم، ونكصت فيه السلوكيات القويمة كما ألمح لكل هذا واحد من مثقفينا الكبار الراحلين[1].

وقد كتب في هذا الموضـوع أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي (280ـ 360هـ) (والآجُرِّي بفتح أوله ممدودا، وضم الجيم، وكسر الراء المشدَّدة، نســبة إلى قرية من قرى بغداد: آجُر) كتابا تحت عنوان "أخلاق العلماء"[2]. ولقد طوَّف في هذا المضمار أيضا ابن عبد البر (368 ـ 463 هـ) في مؤلفه الشهير "جامع بيان العلم وفضـــله" لا ســـيما في الفصـــل المعنون: "في آداب العالم والمتعلم"[3]. كما كتب فيه أيضـــا حجة الإســـلام الإمام أبو حامد محمد الغزالي (450 ـ 505 هـ) رسالة مقتضبة في الرد على واحدٍ من تلاميذه ومريديه بعنوان "أيها الولد"[4].

ومن البحوث الجديدة المعتمدة على موروثنا القديم المصـــنف الذي وضـــعه عبد الله عبده العواضـــي بعنوان: "آداب العالم والمتعلم من فتح الباري لابن حجر جمعًا وترتيبًا وتعليقًا"، والذي تمت طباعته حديثا في صـــــنعاء[5]. وقد اعتمد فيه مصنفه على ما أورده ابن حجر ـ رحمه الله ـ في كتابه عن البخاري ـ طيب الله ثراه – من آي الذكر الحكيم وحديث رسولنا الكريم، صلوات ربي وسلامه عليه.

وقد كتب أيضـا الفقيه القاضـي الماوردي في هذا الموضـوع في الكتاب ذائع الصـيت وهو بعنوان "أدب الدين والدنيا"[6]، وينسـب لحجة الإسـلام الإمام الغزالي كتاب يقترب عنوانـه من هذا العنوان، وربما كان لكل منهما كتابه الخاص به تحت مثل هذا العنوان، فهو عنوان عام، يســـتطيع أن يكتب فيه طائفة من الكتاب.

أولاً: أخلاقيات العلم عند الماوردي:

أما موضوعنا الذي نحن بصدده فقد أورده الماوردي في كتابه المشار إليه آنفا في الباب الثاني تحت عنوان: "في أدب العلم" الذي أورد به فصلين أولهما: "في آداب المتعلم"[7]، والثاني: "في آداب العالم"[8]. وقبل أن نلج إلى دقائق هذا الموضوع يحسن بنا ـ أولاً ـ أن نتوقف قليلا لنعرِّف بصاحب "أدب الدنيا والدين"، ونوجز محتواه بشكل عام.

الماوردي:

هو القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي منسوبا إلى عمل الماورد، ذلك أن بعض أجداده كان يصنعه أو يتجر فيه. وقد ولد بالبصرة سنة 364 هـ، ثم قدم إلى بغداد مع ابنه أبي الفائز عبد الوهاب الشاهد، واستوطنا فيها، وقد شغل منصب القضاء في عدة بلدان، وسار فيه سيرة عادلة، فقد اشتهر بالورع وصدق التدين. أما وفاته فقد كانت في سنة 450 هـ.

وللماوردي مؤلفات في مقاصد متباينة، فكتب في فقه الإمام الشافعي كتابه المعروف بعنوان "الحاوي" الذي يدل على مدى تبحره في الفقه، وإلمامه التام بمذهب الإمام الشافعي.

أما في ميدان السياسة فله كتاب بعنوان: "قانون الوزراء وسياسة الملك"، وله أيضا مؤلف في ذات الميدان بعنوان "الأحكام السلطانية".

هذا، فضلا عن كتابه الذي توجه به إلى عامة القراء، والذي يهتم في المقام الأول بالجوانب الأخلاقية، وهو كتاب "أدب الدنيا والدين"، الذي اعتمدنا عليه في هذه الورقة، والذي يتناول فيه تفصيل الكلام حول العلم وأهميته، وفي آداب طالب العلم، وما ينبغي أن يتصف به العلماء، وهي كلها جوانب تربوية وأخلاقية سبق بها الكثيرين في هذا المضمار، وربط الماوردي بينها جميعا برباط وثيق.

من محتويات الكتاب:

هذا مؤلف ضـــخم، يقع في أكثر من 750 صـــفحة من القطع الكبير، وقد حققته لجنة علمية بمركز المنهاج للدراســات والتحقيق العلمي التابع لدار المنهاج للنشر والتوزيع في بيروت بدولة لبنان، وظهرت طبعته الأولى في العام 2013م.

ويعرف المؤلف جيدا أهمية كتابه، وشرف الموضوع الذي أداره حوله؛ ولهذا يشـــير في خطبة (مقدمة) الكتاب إلى هذا بقوله: إن شـــرف المطلوب بشـــرف نتائجه، وعظم خطره بكثرة منافعه، وبحســـب منافعه تجب العناية به، وعلى قدر العناية به يكون اجتناء ثمره، وأعظم الأمور خطرا وقدرا، وأعمقها نفعا ورِفدًا ما اســتقام به الدين والدنيا، وانتظم به صـــلاح الآخرة والأولى؛ لأن باســتقامة الدين تصح العبادة، وبصلاح الدنيا تتم السعادة (ص 37).

ويحتوي الكتاب بعد خطبته على خمســة أبواب، وكل باب قســمه مؤلفه إلى عدة فصـــول. فجاء الباب الأول تحت عنوان "في فضـــل العقل وذم الهوى"، أما الباب الثاني – وهو الذي يهمنا في هذا المقال – فقد جاء تحت عنوان "في أدب العلم"، وسنعود للإشارة إلى ما ورد فيه – تفصيلاً – من فصول، بعد استعراض بقية أبواب الكتاب.

أما الباب الثالث فقد أورده المؤلف تحت عنوان "في أدب الدين"، ثم أتبعه بالباب الرابع تحت عنوان "في أدب الدنيا"، ثم أنهى المؤلف كتابه بالباب الخامس الذي جاء بعنوان لا يختلف عن مقاصد هذا المقال، حيث كان عنوانه: "في أدب النفس". ثم أنهى المؤلف كتابه بخاتمة جعل عنوانها: "في نصـــائح جليلة ذات منافع جزيلة".

والكتاب في تأليفه ينتظم على ما ســـار عليه القدماء من بيان الفكرة، ثم تأييدها بالشـــواهد المختلفة، مبتدئا بالقرآن الكريم فالســـنة النبوية المشـــرفة فمأثور

الحكم، والمشـــهور من أقوال الشـــعراء، ثم توثيق كل هذه النقول بالإشـــارة إلى مصادرها (وهو هنا يضرب بنفسه المثل في الدقة والأمانة العلمية).

في آداب المتعلم:

والذي يهمنا ــ على وجه الخصوص ــ في بحثنا هذا هو الباب الثاني الذي يتضـــمن في مقدمته التأكيد على عدة موضـــوعات، وهي: "الفقه في الدين أولى العلوم"، و "فضـيلة صـيانة ذي العلم نفسَـه"، و "المال مفضـول لا فاضـل"، و "موانع طلب العلم"، وأخيرا: "الترغيب في طلب العلم وتصحيح النية فيه".

وفي التوطئة لهذا الباب يؤكد الماوردي على أهمية العلم للإنســـان؛ إذ إنه قيمة عليا في ذاته، وهو نافع لكل من يشـتغل به، وأشـرف ما رغب فيه الراغب؛ لأن شرفه ينم على صاحبه، وفضله ينمو عند طالبه، قال تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون". الزمر: من الآية 9. فمنع من المســـاواة بين العالم والجاهل؛ لما قد خص به العالم من فضيلة العلم.

وقال الله تعالى: "وما يعقلها إلا العالمون". العنكبوت: من الآية 43. فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمرًا، أو يفهم عنه زجرا. (ص 71).

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم". رواه الترمذي.

ثم يتبع المؤلف كل هذا بالفصـــل الأول الذي جعل عنوانه: "في أســـباب التقصـــير في العلم، و"من أســـباب التقصـــير الغفلة عن التعليم في الصـــغر"، و"قواطع الكبير عن طلب العلم"، و"نصـائح خالصـة"... إلخ.. إلى أن يصـل إلى الفصل الثاني بعنوان "في آداب المتعلم" – وهو أحد بيتي القصيد في هذا البحث – ليحدثنا في أول جزئية منه عن "التملق والتذلل".

"التملق والتذلل":

وهو يعني بالمَلَق هنا: الزيادة في التودد؛ ليستخرج من الإنسان مُراده. يقول المؤلف: اعلم أن للمتعلم في زمان تعلمه مَلَقا وتَذللا، إن استعملهما غَنِم، وإن تركهما نَدِم وحُرِم؛ لأن التملق للعالم يُظهِر مكنونَ علمه، والتذلل له سبب لإدامة صبره، وبإظهار مكنونه تكون الفائدة، وباستدامة صبره يكون الإكثار. ثم أورد في هذا أحاديث شريفة، وحكمًا لطيفة. فقد روى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ليس من أخلاق المؤمن المَلَقُ إلا في طلب العلم". رواه البيهقي في شعب الإيمان. وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "ذللتُ طالبا، فعززتُ مطلوبا". رواه الدينوري في "المجالسة وجواهر العلم". وقال بعض الحكماء: "من لم يحتمل ذل التعلم ساعة.. بقي في ذل الجهل أبدًا". ورد في "زهر الآداب".

وهكذا سار المؤلف على هذه الوتيرة مستعينا بالكثير من النقول والحكم، ونتف من أقوال الشعراء والمتأدبين؛ لكي يدلل لنا على وجاهة هذه الصفة التي ينبغي للمتعلم أن يتصف بها إزاء معلمه.

ثم يلفت المؤلف نظرنا إلى ما ينبغي على المتعلم الحذر منه وهو: التبسط على من يعلمه وإن آنسَه، والإدلالَ عليه وإن تقدمت صحبتُه.. ولا يُظهرُ له الاستكفاءَ منه، والاستغناء عنه؛ فإن في ذلك كفرا لنعمته، واستخفافا بحقه[9].

ثم قال: وقد رجَّح كثير من الحكماء حق العالم على حق الوالد، حتى قال بعضهم:

يا فاخرا للسَّفاه بالسَّلف وتاركا للعلاء والشرفِ
آباء أجسادنا همُ سببٌ لأنْ جُعِلنا عَوارضَ التلفِ
مَنْ علمَّ الناسَ كان خيرَ أبٍ ذاك أبو الروح لا أبو النُّطَفِ

الحق أحق أن يتبع:

أما ما أعجبني حقا فهو قوله: "ولا ينبغي للطالب أن يبعثه معرفة الحق للعالم على قبول الشُّـــبَه منه، ولا يدعوه ترك الإعنات له على التقليد فيما أخذ عنه؛ فإنه ربما غلا بعض الأتباع في عالِمِهم حتى يروا أن قوله دليلٌ وإن لم يُســتدلَّ، وأن اعتقاده حُجّة وإن لم يحتجَّ.. فلا يبعُدُ أن تخرج هذه أهلَها من عِداد العلماء[10].

ووجه الإعجاب بها أن لا أحد فوق الحق، فليس كل ما قال الشيخ أو العالم حقا حتى وإن كان باطلا أو قولا فاســدا، فلا عصـــمة لأحد إلا للأنبياء الموحَى إليهم.

ثم قال: وليس كثرة الســؤال فيما ألبس إعناتا، ولا قبول ما صـــحَّ في النفس تقليدا، فقد روي عن النبي صـــلى الله عليه وســـلم قوله: "العلمُ خزائنُ، ومفاتيحُه المســـألةُ، فاســـألوا رحمكم الله، فإنما يُؤجر في العلم ثلاثة: القائل، والمســـتمع، والآخذُ". رواه أبو نعيم في "حِلية الأولياء".

ونهى النبي صـلى الله عليه وسلم آخرين عن كثرة السؤال في قوله: "أنهاكم عن قيلَ وقال، وكثرةِ السؤال، وإضاعةِ المال". رواه البخاري ومسلم.

ولا خلاف بين الحديثين؛ إذ الأمر في الأول قُصِـــدَ به علم ما جهل، وفي الثاني نهيٌ عن الإعنات (الشدة والمشقة).

ثم قال: وليأخذ المتعلم طِلبَتَه ممن وجدها عنده من نبيهٍ وخامل.. وإذا قرُب منه العلم فلا يطلبه مما بعُدَ، وإذا تسهَّل عليه من وجهٍ فلا يطلب ما صعُب، وإذا حمد من خبره فلا يطلب من لم يخبره، (وكأن زامر الحي لا يطرب) كما يقول المثل!!

في آداب العالم:

وقد أفرد الماوردي لآداب العالم فصلا يربو في حجمه على ثلاثة أضعاف الفصل السابق حول (آداب المتعلم)، ربما لأهمية العالم، وعِظَم رسالته، وبالغ تأثيره في مَنْ يأخذون عنه وهم كثيرون.

التواضع:

وقد تعرض لما ينبغي للعلماء من صفات في هذا الفصل فقال: فأما ما يجب أن يكون عليه العلماء من الأخلاق التي هي بهم أليق، ولهم ألزم، فالتواضع، ومُجانبة العُجب؛ لأن التواضع عطوف، والعُجب مُنفرٌ؛ لأنه بكل أحد قبيح وبالعلماء أقبح؛ لأن الناس بهم يقتدون.. ومن جهة أخرى فإن العجب نقص ينافي الفضل. ومن جهة ثالثة فإن أي عالم إلا وسيجد من هو أعلم منه بشيء، فالعلم أكثر من أن يحيط به بشر، قال تعالى: "وفوق كل ذي علم عليم". يوسف: من الآية 76.

قال الشعبيُّ: "العلم ثلاثة أشبار: فمن نال منه شبرا.. شمخ بأنفه، وظن أنه ناله، ومن نال الشبر الثاني.. صغرت إليه نفسُه، وعلم أنه ما ناله، وأما الشبر الثالث.. فهيهات، لا يناله أحد أبدا". (ذكره المناوي في "فيض القدير").

ولله درُّ الجاحظ القائل في "البيان والتبيين": اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول، كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن، كما نعوذ بك من العجب بما نحسن، ونعوذ بك من شر السلاطة والهذر، كما نعوذ بك من شر العِيِّ والحَصَر". ("البيان والتبيين": 3/1).

الاجتهاد والتوغل في العلم:

وأعجبني منه قوله: "ولا يقنع في العلم بما أدرك منه؛ لأن القناعة فيه زهد، والزهد فيه ترك، والترك له جهل". ثم استشهد بقول القائل: "عليك بالعلم والإكثار

منه؛ فإن قليله أشبه شيء بقليل الخير، وكثيره أشبه بكثيره، ولن يعيب الخير إلا القلة، فأما كثرته فإنها أمنية"[11].

العمل بما علم:

ثم قال: وليكن من شيمته العمل بعلمه، وحث النفس على أن تأتمر بما يأمر به، ولا يكن ممن قال الله فيهم: "مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا". الجمعة: من الآية 5. وقيل في منثور الحكم: "لم ينتفع بعلمه من ترك العمل به"[12]. وقال بعض الصالحين: "العلم يهتف بالعمل؛ فإن أجابه، وإلا.. ارتحلَ". ("عيون الأخبار": 125/2).

تعليم العلم ونشره:

ثم قال الماوردي: ومن آداب العلماء: ألا يبخلوا بتعليم ما يحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون؛ فإن البخل به لؤم وظلم، والمنع منه حسد وإثم، وكيف يسوغ لهم البخل بما مُنحوه جودا من غير بخل، وأوتوه عفوا بغير بذل؟

ثم يزيد في التوضيح والإفادة بقوله: أم كيف يجوز لهم الشحُّ بما إن بذلوه.. زاد ونما، وإن كتموه.. تناقص ووهى؟ ولو استنَّ بذلك من تقدمهم.. لما وصل العلم إليهم، ولانقرض بانقراضهم، ولصاروا على مرور الأيام جُهالا، وبتقلب الأحوال وتناقضها أرذالا؛ وقد قال الله تعالى: "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لتبيننه للناس ولا تكتمونه". آل عمران: من الآية 187. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تمنعوا العلم أهله؛ فإن في ذلك فساد دينكم، والتباس بصائركم"[13]، ثم قرأ: "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون". البقرة: 159.

ثم قال: وينبغي أن تكون للعالم فراسة يتوسم بها المتعلم، ليعرف بها مبلغ طاقته، وقدرَ استحقاقه؛ ليعطيه قدر ما يحتمله بذكائه، أو لا يضعفُ عنه

ببلادته؛ فإنه أروحُ للعالم، وأنجح للمتعلم. قال بعض الحكماء: "خير العلماء: من لا يُقِّلُ ولا يُمِلُّ".

ومن آداب العلماء أيضا: نزاهة النفس عن شُبَه المكاسب، والقناعة بالميسور عن كدِّ المطالب؛ فإن شُبَه المكسب إثم، وكدَّ المطلب ذل، والأجرُ أجدرُ به من الإثم، والعزُ أحقُ به من الذلِّ[14].

قال الجرجاني:

ولو أنّ أهلَ العلمِ صانوه صانهم ولو عظّموه في النفوس لعُظِّما
ولكن أهانوه فهان ودنَّسوا مُحيَّاه بالأطماع حتى تجهَّما

وعلق على هذا بقوله: على أن العلم عوض من كل لذة، ومغنٍ عن كل شهوةٍ، ومن كان صادق النية فيه.. لم يكن له همة فيما يجد بدًّا منه. وقد قال أحد الحكماء: "من تفرد بالعلم.. لم توحشه خلوة، ومن تسلى بالكتب .. لم تفته سلوة، ومن آنسته قراءة القرآن.. لم توحشه مفارقة الإخوان". ("محاضرات الأدباء" 66/1).

ثم قال[15]: ومن آدابهم: نصحُ من علموا، والرفق بهم، وتسهيل السبيل عليهم، وبذل المجهود في رِفدهم ومعونتهم، فإن ذلك أعظم لأجرهم، وأسنى لذكرهم، وأنشرُ لمعلومهم، وأرسخُ لعلومهم، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "يا علي؛ لأن يهدي بك اللهُ رجلا.. خير لك مما طلعت عليه الشمس". رواه البخاري ومسلم.

كما أعجبني قوله: ومن آدابهم: ألا يعنفوا متعلما، ولا يحتقروا ناشئا، ولا يستصغروا مبتدئا؛ فإن ذلك أدعى إليهم، وأعطف عليهم، وأحثُّ على الرغبة فيما لديهم، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "علموا ولا تعنفوا؛ فإن المعلم خير من المعنف". رواه البيهقي في "شعب الإيمان". وقد روي عن النبي

صلى الله عليه وسلم أيضا قوله: "وقِّروا من تتعلمون منه، ووقروا من تعلمونه". (روي في: "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع").

وأخيرا ذكر الماوردي من آدابهم[16]: ألا يمنعوا طالبا، ولا ينفروا راغبا، ولا يؤيّسوا متعلما؛ لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم، والزهد فيما لديهم، واستمرارُ ذلك مفضٍ إلى انقراض العلم بانقراضهم؛ فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "من لم يُقنط الناسَ من رحمة الله تعالى، ولم يؤيسهم من روح الله، ولا يدَعُ القرآن رغبة إلى ما سواه، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا علم ليس فيه تفهم، ولا قراءة ليس فيها تدبر". رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" مرفوعا، والدارمي في مسنده موقوفا على سيدنا عليّ رضي الله عنه.

ثانيا: دافيد رزنيك:

ومن الكتاب والمفكرين الغربيين المحدثين الذين طرقوا هذا الموضوع ولهم فيه إسهامات كثيرة الدكتور دافيد رزنيك، ومنها كتابه الصادر مؤخرا، وهو من الكتب الموضوعية القليلة، ذات الطابع العلمي الفلسفي، التي تعنى بأخلاقيات العلم التي نحن في أمس الحاجة إليها إن أردنا انتعاش العلم وتقدم البحث العلمي في بلدنا ووطننا العربي، وعنوانه: "أخلاقيات العلم: مدخل"[17] The Ethics of Science : An Introduction.

مؤلف الكتاب ومترجمه:

أما مؤلف الكتاب فهو ديفيد ب. رزْنيك David B. Resnik (1961ـ ؟)، حاصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة نورث كارولينا، ودكتوراه في القانون من جامعة كونكورد. وهو يعمل أستاذا للجوانب الإنسانية الطبية بكلية طب برودي في جامعة East Carolina بالولايات المتحدة الأمريكية، كما يشغل منصبا إداريا متصلا بتخصصه الدقيق، حيث يعمل مديرا للبرامج الجديدة،

في مركز أخلاقيات العلوم البيولوجية في جامعته. وله عدة كتب وبحوث، من أهمها: "العلاج الجيني بالأمشاج البشرية: مسائل علمية وخلقية وسياسية"، وكتاب: "السلوك المسئول في البحث العلمي"، هذا بخلاف أكثر من ستين مقالة تدور حول الفلسفة، وأخلاقيات البحث العلمي، وأخلاقيات الطب البيولوجي؛ إذ إن معظم أبحاثه تدور حول المسائل الأخلاقية في التكنولوجيا الحيوية والوراثة البشرية، والمسائل الفلسفية في العلم والتكنولوجيا والطب.

ومن واقع تخصصه هذا تعرض الرجل لعدة قضايا مهمة للغاية تتعلق بأخلاقيات العلم في كتابه هذا.

أما مترجم الكتاب فهو د. عبد النور عبد المنعم، مدرس فلسفة العلوم في كلية آداب سوهاج، جامعة جنوب الوادي، وراجعته أستاذته الدكتورة يُمنَى طريف الخولي، أستاذ فلسفة العلوم ومناهج البحث، ورئيسة قسم الفلسفة بآداب القاهرة. وقد صدر هذا الكتاب عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، العدد رقم 316، عام 2005.

ويعالج هذا الكتاب جُملة من الموضوعات، التي تتعلق بفلسفة العلم وأخلاقيات تطبيقاته، في شتى مجالات إنتاج العلم وتطبيقه، بدءا بالمختبر، ومرورا بعملية النشر العلمي، إلى العملية النهائية التي تختص بتطبيقه.

وربما تتضاعف الآن أهمية هذا الكتاب، في بلادنا العربية، لِما يدور حوله، أو يثيره من مسائل وقضايا، تتعلق بأخلاقيات العلم والبحث العلمي والأمانة العلمية، وما ينبغي أن يتصف به العلماء والباحثون والطلاب، سواء في مجال العلوم البحتة أو العلوم الإنسانية، من صفات افتقر إليها – مؤخرا – نفر ممن يُحْسبون على العلم، ملأت أخبارهم السيئة صفحات الحوادث، في الصحف السيارة، والمواقع الإلكترونيّة، حتى إنهم يسيئون – بسلوكهم المُهين، من سرقات علمية أو تلفيق للبحوث والنتائج، أو ادعاء ما ليس لهم بحق، إلى غير هذا وذاك

من التصـرفات المشـينة – إلى العلم والعلماء، وقبل ذلك إلى أنفسـهم، إن كانت نفوسهم ما زالت تستشعر التمييز بين ما يزين وما يشين!

وعلى الرغم من أن الكتاب ليس جديدا في بابه، إلا أنه يســـتمد أهميته بعد الثورة التي أحدثتها التطورات الهائلة، في مجال الهندســـة الوراثية وبحوث الاســتنســاخ، والنتائج المذهلة للطاقم الوراثي للإنســان أو ما يُسَـمّى "بالجينوم"، لاسيما وأن بحوث المؤلف الحالية تتركز حول المسائل الأخلاقية، في التكنولوجيا الحيوية، والوراثة البشرية، إضـافة إلى المسـائل الفلسـفية المتعلقة بمجالات العلم والتقنية والطب.

والواقع أن حقل البحث العلمي في حاجة ماســـة لمثل هذا المؤلَّف ونظائره التي تتعرض لمعالجة أخلاقيات العلم والبحث العلمي، منهاجا وتطبيقا، حيث بلغت أصـول الطرح الفلسـفي في هذا الكتاب نضـجها التام، حيث يبدو جليا في معظم الإشكاليات والمسـائل والقضـايا المثارة، عبر فصـوله، يطرح الرأي والرأي الآخر، وحجج كل منهما وحيثياته، ثم لأيهما ينتصـــر ولماذا، تاركا للقارئ أن يتخذ الموقف الذي يتبدى له، ويُصـــدر الحكم الذي يراه ملائما. فالكاتب يصـــرح في ثنايا الكتاب ليقول: بوصـفي فيلسوفًا، أهتم أكثر بإثارة الأسئلة السديدة، وبفهم المســائل المبهمة، أكثر من اهتمامي بوضـــع إجابات مطلقة". ومع هذا لا يخلو الكتاب من خطوط إرشـادية واضـحة، تضـيء السبيل أمام اتخاذ القرار الأخلاقي السديد، في المواقف العلمية الحرجة والشائكة.

والكتاب – كما يشـــير عنوانه – مدخل أو مقدمة عامة؛ لتوضـــيح المبادئ والمعايير والقضـــايا، التي تهتم بأخلاقيات العلم، مع إيراده نماذج لإشـــكاليات تختص بها، نشأت جميعها في السياق الغربي، بطبيعة الحال، الأمر الذي يجعل صـاحبة التصـدير تتمنى ظهور إصـدار عربي أصـيل، في أخلاقيات العلم، نابع من المعايير والقيم العربية وخصـــوصـــيات وحيثيات الثقافة العربية، موائم لواقع

العلم وقضـــايا البحث العلمي في البيئة العربية[18]. والواقع أن ما تتمناه مُراجِعة الكتاب وصاحبة تصديره، موجود بالفعل، إلا أن انشغالاتها وأسفارها الكثيرة، ربما تكون قد حالت دون اطلاعها عليها[19]!

ومن الموضـــوعات المتميزة التي وردت بهذا المُصَـــنَّف المهم ما جاء في الفصـــل الأول تحت عنوان: "العلم والأخلاقيات"، وكذا الفصـــل الثاني بعنوان: "النظرية الأخلاقية والتطبيقات"، أما الفصـــل الثالث فقد بحث فيه المؤلف موضوعا مهما بعنوان: "العلم من حيث هو مهنة".

وفي الفصـــل الرابع ناقش المؤلف: "معايير الســـلوك الأخلاقي في العلم"، أتبعه بمناقشـــة قضـــية خطيرة تهم الباحثين والدارســـين الأكاديميين بعنوان: "الموضـوعية في البحث"، وفي الوقت ذاته لم يغفل المؤلف قضـية تهم الباحثين بشـكل عام، وتتعلق بالضـمير الأخلاقي والعلمي، ناقشـها المؤلف تحت عنوان: "المسائل الأخلاقية في النشر العلمي"، ويُكمله الفصل السابع الذي أداره المؤلف حول "المسـائل الأخلاقية في المختبر"، بينما أُديرَ الفصـل الثامن حول مسـائل تخصّ: "العالِم في المجتمع"، أما الفصـل الأخير فقد أداره المؤلف حول: "منظور اســـتشـــرافي نحو علم أكثر أخلاقية". ولم يغفل المؤلف عرض بعض "حالات للدراسة".

وعلى هذا، فالكتاب من المصـــنفات المهمة لكل المهتمين بأمور البحث العلمي تخطيطا وإدارة وتنفيذا، فضـلا عن موضـوعه الهام، بالنسـبة لشـريحة من الناس، يُمثلون النخبة في أي مجتمع من المجتمعات، حيث يعملون بشكل مباشر في إنتاج العلم، من البحث العلمي الذي لابد له من أعراف ومواثيق ودســـاتير تحكم مسيرته، وتضبط إيقاعه؛ لتأتي مخرجاته في النهاية على النحو المأمول.

وتحت عنوان: "العلم والأخلاقيات"، يلفت الكاتب انتباهنا إلى ضـــرورة التزام العلم، والبحث العلمي بالمعايير الأخلاقية؛ ذلك أن الافتقار إلى الأخلاقيات، في

العلم، دائما ما يهدد سلامة واستقرار البحث ذاته، حيث تضمنت حالات الانحراف هذه: الادعاء بالانتحال والخداع، وانتهاكات القانون، وسوء إدارة التمويل، واستغلال المرءوسين، وانتهاكات في توليفات الشفرة الوراثية (الدنا DNA)، والتحامل والانحياز، وصراع المصالح، ومشاكل أخرى كثيرة، داخل المختبر الجنائي.

ولكن الكاتب يعود ليستدرك أن الانحراف في العلم أقل من الانحراف في مهنٍ كثيرة، كالأعمال الحرة، والطب، والقانون، وغيرها، لاسيما أن العلماء والمسئولين قد بحثوا، ووثقوا بعض حالات السلوك الأخلاقي السيئ، وأصدروا أحكاما عليها؛ وذلك في ميادين كثيرة من البحث العلمي. إضافة إلى ذلك فإن الجامعات والجمعيات العلمية ترعى ورش عمل، ومؤتمرات تعنى بالدراسات الأخلاقية في ميدان العلم، كما أن العلماء لا يدّخرون وسعا في دمج الأخلاقيات داخل مقررات تدريس العلوم، على مستوى الدراسات العليا أو دونها. هذا، فضلا عن المؤلفات والمقالات التي تتعلق بأخلاقيات البحث العلمي، والتي يكتبها العلماء والباحثون في الإنسانيات. أما الدوريات الجديدة فتنتهج نهجا حسنا في كونها تستهل دراساتها بعناوين تتعلق بالمسائل الأخلاقية في العلم.

النظرية الأخلاقية:

أما ما جاء بعنوان "النظرية الأخلاقية والتطبيقات"، فيتعرض لمجموعة من الموضوعات الفرعية المتشابكة من مثل: الأخلاقيات والقانون والدين والسياسة، ونظرية الخلق العام، والاختيارات الخلقية العامة، وأخيرا النسبوية Relativism[20].

هذا، ولا ينسى المؤلف أن يُمَيِّز في مستهل هذا الفصل بين الأخلاقيات النظرية أو علم الأخلاق Ethics وبين الخلق العام Morality، وربما يقصد المترجم هنا المبادئ أو القواعد الأخلاقية العامة؛ إذ تتألف هذه من المعايير

شـــديدة العمومية في مجتمع ما، لِتُطبَّق على الناس جميعا داخل هذا المجتمع، بغض النظر عن دورهم في المؤسـسـات الاجتماعية أو عن مهنهم. وفوق ذلك، فالمعايير الأخلاقية العامة تميِّز بين الصـواب والخطأ، والخير والشـر، والفضـيلة والرذيلـة، والعدل والظلم. وقد تحمس كثير من الكُتاب لهذه المبادئ الأخلاقية العامة، التي ينبغي أن تعلو على ســـواها: فإذا كان لديَّ واجب خلقي عام يحتِّم عليَّ ألا أكذب فإنه ينبغي عليَّ ألا أفعل ذلك، حتى إن حتَّمت عليَّ حيثيات الوظيفة أن أكذب.

أما الأخلاقيات النظرية فليســت معايير عامة للســلوك، بل معايير لمهنة معينــة أو لوظيفــة محــددة أو لمجموعــة مــا داخــل المجتمع، حتى إن لفظ "الأخلاقيات" من المنظور النظري حينما يسـتخدم في هذا السـياق، فإنه عادة ما يكون لفظا "مضـــافا" إلى "مضـــاف إليه"، فنحن نقول مثلا: أخلاقيات الأعمال الحرة، أخلاقيات الطب، أخلاقيات العســـكرية، وهكذا. وفي ضـــوء ذلك، فإن الأخلاقيات المهنية هي: معايير للســـلوك تطبق على هؤلاء الذين يعملون بمهنة معينة.

العلم من حيث هو مهنة:

يُعَرِّفُ المؤلفُ العلم "بأنه مؤسسـة اجتماعية؛ لأنه يقوم على إسـهام وتعاون أناس مختلفين؛ لإنجاز أهداف عامة داخل بيئة اجتماعية كبرى". ثم يضـيف أن العلم أكثر من مجرد مؤسسـة، فإنه أيضـا مهنة، في حين أن كل مؤسسـة ليست مهنة؛ ولذلك يضـع المؤلف سـبعة معايير أو شـروط لكي تكون المؤسسـة مهنة، إلا أنه يتحفظ ويقول: يجب ألا تؤخذ هذه المعايير على أنها شـــروط كافية لكي تكون المؤسسة مهنة، وفي الوقت ذاته فربما نعتبر مؤسسة ما مهنة، حتى وإن لم تحقق كل هذه المعايير.

ويشير الكاتب إلى أمر هام ـ حسبما يؤكد جرينل عام 1992ـ فيقول: فعلى الرغم من أن العلم ــ في فترة ما ــ لم يكن أكثر من هواية أو شغل شاغل، لكنه الآن مهنة. والحق أن بعض الكتاب يحاجّون، بأن التوسع الهائل في امتهان العلم (أيْ: اتخاذه مهنة)، في عصرنا هذا، يبدو أنه المسئول، إلى حد ما، عن بعض التصـــرفات غير الأخلاقية، التي قد تحدث خلال عملية إنتاج العلم. إذ يتاح لمزاولي البحث العلمي، في مجالاته المختلفة، أشـــياء كثيرة؛ مما يفرض عليهم مسئوليات خاصة، ومصداقية هائلة، وعلى سبيل المثال: فلعلماء الآثار الحق في اســتكشــاف مواقع الأبنية الأثرية المشــيّدة، وتحت طوع علماء النفس مواد ذات تأثير نفســي أو مُخَدّرة، كما يتاح للفيزيائيين عنصــر البلوتونيوم والمواد الأخرى الحديثة باهظة الثمن، ولابد إزاء هذه الامتيازات من مســـئوليات تتميز بالنزاهة والمصـــداقية: إذ يُفترَض أن العلماء الذين يتلقون تمويلا من الحكومة لإنجاز بحوثهم وتجاربهم العلمية لن يبددوه لمصالحهم الخاصة، كذلك فإن علماء النفس أو الفِزيولوجيا، الذين يدرســون تأثيرات الكوكايين والمخدرات المختلفة على حيوانات التجارب لن يسرقوا هذه المواد ليتاجروا فيها.

والكاتب حينما يستخدم مصطلح العلم، من حيث هو مهنة، فإنه يُركز على الجوانب المشتركة بين المهن العلمية المختلفة؛ إذ إن "المهنة العلمية" تعبير عام يســتخدم للدلالة على مِهَن علمية كثيرة مثل: البيولوجيا الجزيئية، وســيكولوجية النمو، وعلم المناعة، والكيمياء الحيوية، وعلم الفلك، وعلم الحشـــرات، وعلم النفس... إلى غير ذلك من علوم وتخصصات.

من أهداف العلم وآدابه:

يميّز الكاتب أهداف العلم إلى نوعين: أهداف معرفية وأخرى عملية، أما الأولى فتتضـمّن الأنشـطة التي تتقدم في ضـوئها المعارف البشـرية، وتتضـمن وصفا دقيقا للطبيعة، ونظريات وفروضا تفسيرية متنامية، كما تُمَكّنُ من تنبؤات

موثوق بها، وحذف الخطأ والتحيز، وتعليم العلم للجيل القادم من العلماء، وتبليغ الناس بالأفكار والوقائع العلمية.

أما بالنسبة لأهداف العلم العملية فتتضمن حل المشاكل في مجالات الحياة المختلفة كالهندسة والطب والاقتصاد والزراعة، ومجالات أخرى للبحث التطبيقي، وهذا من شأنه تحسين الصحة العامة للبشر، وزيادة القوة التكنولوجية، والسيطرة بوجه عام على الطبيعة.

ومن الطبيعي أن تتفاوت الاهتمامات بين التخصصات العلمية المختلفة، من حيث أهدافها ودرجة توجهاتها نحو الجوانب العملية البحتة، أو بدرجة أكبر نحو الجوانب العلمية. وينبغي أن نميز بين أهداف العلم وأهداف العلماء، فالأولى تعني أهداف المهن العلمية، أما الثانية فتعني الأهداف الفردية، وغالبا ما تتوافق هذه مع تلك، بيْد أنه قد يُمارِسُ بعض الأفراد العلم لاكتساب مال أو وظيفة أو سلطة، أو وجاهة، وفي هذه الحالة فإنه يستحيل علينا الزعم بأن هذه الأهداف هي أهداف العلم، فضلا عن إنه إذا كان المال أو الوجاهة أو السلطة تؤلف بعض أهداف العلم القصوى، فإننا لن نعتقد أن العلماء يعملون تحت هذه الظروف بأمانة.

العلم ونشر المعرفة:

ثم نأتي إلى تعريف العلم بأنه مهنة يسهم ويتعاون من خلالها الأفراد معا من أجل تقدم المعارف البشرية، ومن ثم مجابهة الجهل، ومحاولة حل مشكلات عملية، ومادام كل العلماء ينهلون تعليمهم وتدريبهم من مراكز أكاديمية، فإن فِرَقَ البحث في الجامعات تشكل أساس العلم، ومن ثم يتعلمون مناهجهم وقيمهم المختلفة، وتدريباتهم العملية، من خلال ممارساتهم في فرق البحث الأكاديمية هذه.

معايير السلوك الأخلاقي في العلم:

وثمة زمرة من معايير السلوك الأخلاقي، التي ينبغي أن يتحلى بها ممتهنو العلم، ومنها: **الأمانة**، التي تختلف عن الخطأ، والتي يعتبرها المؤلف أهم قاعدة في العلم، إذ ينبغي على العلماء ألا يختلقوا المعطيات أو النتائج، أو يكذبوها أو يحرفوها. عليهم أيضا أن يكونوا موضوعيين، وغير منحازين وصادقين في سائر مناحي عملية البحث (ص86).

ومن هذه المعايير أيضا: **الحذر واليقظة**، إذ يجب على العلماء أن يتجنبوا الأخطاء في البحث، خاصة في عرض النتائج، وأن يعملوا على تقليل الأخطاء البشرية والتجريبية والمنهجية إلى حدها الأدنى، ويتجنبوا خداع الذات والانحياز، وصراع المصالح (ص90).

ومنها أيضا: **الانفتاحية** openness، وينطوي تحتها معاني الصراحة والإتاحة والرحابة والمُجاهرة مع الاستعداد للنقد والتطوير؛ حيث ينبغي أن يتشارك العلماء في النتائج والمعطيات والمناهج والأفكار والتقنيات والأدوات. ويجب أيضا أن يتيحوا لعلماء آخرين مراجعة عملهم وأن يكونوا منفتحين للنقد والأفكار الجديدة.

ومنها أيضا: **الحرية**، فينبغي أن يكون العلماء أحرارا في أن يقوموا بالبحث في أي مشكلة أو فرض متبنيين للأفكار الجديدة (إن ثبتت صحتها)، منتقدين للأفكار القديمة (إذا لم تكن صحيحة). فالصراعات التي خاضها جاليليو وبرونو وفيزاليوس وعلماء الوراثة السوفييت تشهد جميعها على أهمية الحرية في البحث العلمي.

معايير مهمة جدًا:

ومن هذه المعايير أيضا: الشكر أو التقدير أو الاعتراف بالجميل acknowledgment، الذي يعتبر من الدوافع القوية لإجراء البحوث، ومن

جانب آخر فإن التقدير يلعب دورا مهما في معاقبة العلماء أو توجيه اللوم إليهم، فإذا افترضنا أن جزءا من بحث به خلل ما، هنا ينبغي أن نعرف من المسئول عن ذلك، بحيث يمكن تصحيح الأخطاء أو معاقبة المتسببين؛ إذ إن كل حق أمامه واجب، وهنا ينالُ الفردُ التقديرَ على جزئية من جزئيات البحث، فقط إن كان مسئولا عنها، ومن ثم يمكن مساءلته إن جانبته الأمانة العلمية في إنجازها، ومن هنا تأتي أهمية هذا الشكر أو التقدير.

ومنها أيضا: **التعليم**، إذ يجب على العلماء أن يعلموا شباب العلماء وينقلوا خبراتهم التي اكتسبوها على مر السنين إليهم، ويتأكدوا من أنهم تعلموا كيف يمارسون العلم الجيد. كما يجب عليهم أيضا أن يعلموا العامة ويبلغوهم بأمر العلم وأهميته في كل مجالات الحياة.

ومنها أيضا **المسئولية الاجتماعية** (تجنب الإضرار بالمجتمع، والعمل على تحقيق منافع اجتماعية، وتحمل المسئولية عن نتائج الأبحاث، وإبلاغ الجمهور بذلك). أما **المشروعية** فتتضمن العمل طبقا لمقتضى القانون والتشريع (أي مراعاة العمل بما لا يخالف القانون)، مع مراعاة **تكافؤ الفرص** (عدم إهدار الفرص في استخدام المصادر العلمية أو في التقدم في المسار المهني والعلمي)، في ظل **الاحترام المتبادل** (التعامل مع الزملاء باحترام)، **والفعالية** (استخدام الموارد الاقتصادية والتكنولوجية للحصول على أعلى مردود ممكن)، **واحترام الذات** (أيْ عدم انتهاك حقوق وكرامة الإنسان، وحتى الحيوان عند إجراء التجارب).

وبعد: فإن هذه المعالجة الفلسفية المتكاملة لأخلاقيات العلم والبحث العلمي، من الناحية المنهجية والتطبيقية، نحن أحوج ما نكون إليها، لاسيما ونحن بصدد مناقشة أزمة البحث العلمي في بلادنا؛ ولذا نهيب بكل من يعمل في مجال البحث العلمي أو يتماس معه على أي وجه من الوجوه – تخطيطا أو تنفيذا أو مراقبة أو نقدا وتقويما – أن يطلع على مثل هذه المؤلفات؛ ليعرف ما له وما

عليه، ويدرك أن هذا المجال المهم له ضـــوابطه، وله معاييره التي لا يســـتقيم العمل فيه إلا بمراعاتها، والحرص على تطبيقها، والسير في ضوئها وعلى هداها. فهذه الضـوابط بمثابة دسـتور ينبغي الالتزام به حتى تسـتقيم الأمور في البيئات العلمية؛ ليعم النفع على الناس والمجتمع بشكل عام.

الملامح العامة للمؤلفيْن:

لقد اهتم كل من الماوردي وديفيد رزنيك ببعض الجوانب الأخلاقية والسلوكية التي ينبغي مراعاتها بالنسبة للعالم والمتعلم والباحث بوجه عام، فضـلا عن تأكيد كل منهما على أهمية العلم وجليل خطره، وتأثيره الكبير على المجتمع بشـــكل عام.

والملحوظة العامة أن للماوردي قاموســـه الخاص، وتعبيراته ذات النكهة التراثية والتوجه بالخطاب الموســـوعي العام معتمدا على تبحره في الثقافة الإسلامية، وهي الطريقة التي سادت في الفترة الزمنية التي ظهر فيها كتابه، مع توجه عام نحو تأصـــيل أفكاره الأخلاقية من الناحية الدينية؛ لارتباط العلم والقيم الأخلاقية بالأوامر والنواهي الإسلامية العامة. ولكل هذه الاعتبارات فيمكننا القول أن ما ذكره الماوري من قيم وضـــوابط صـــالحة لكل زمان ومكان، وإن اختلف التعبير عنها باعتبار اختلاف الزمان والمكان.

أما ديفيد رزنيك فقد ظهرت في كتابه سمات حداثية، وتفصـيلات وتفريعات متعدِّدة ومحدَّدة طبقا لمستجدات العلم، فالرجل يكتب في هذا الموضوع في القرن الواحد والعشـرين؛ فالفارق الزمني بينهما حوالي عشـرة قرون، اسـتجدت خلالها أمور كثيرة في العلم، وفي العلاقات الاجتماعية والدولية المتشـابكة؛ ترتب عليها سلوكيات وأخلاقيات وعلاقات جديدة. كما ركز ديفيد رزنيك – طبقا لتخصـصـه – على الجوانب الفلســـفية والمنهجية، والجوانب التطبيقية والمهنية المتكاملة لأخلاقيات العلم والبحث العلمي.

ولكن يبقى الفضـــل للماوردي في الســـبق إلى اجتياز وارتياد آفاق بكر، لموضـوعات جديدة في حينها، توفَّر الرجل على جمع شـذورها، وألَّف بين شـوارد أجزائها، وضـمها معًا في إطار متسـق تحت عناوين محددة، وهذه الأمور تمثل فضل السابق على اللاحق.

وعلى الرغم من تعبيد الســـابق للطريق أمام اللاحق فإن الأمور تصـــعب على الأخير ـ إلى حدٍّ ما ـ حيث ينبغي عليه مضاعفة الجهد للبحث عن الجديد المفيد الذي يمكن إضـــافته. وقديما أطلق الجاحظ قولته الخالدة ردا على من يتباكون لعدم ترك الأوائل للأواخر شـــيئا – وكأنهم أحاطوا بكل شـــيء علما(!)، فقال الجاحظ: "ليس مما يستعمل الناس كلمة أضر بالعلم والعلماء، ولا أضر بالخاصة والعامة من قولهم: "ما ترك الأول للآخر شيئا"[21]. فالتصنيف أو التأليف – كما ألمح المقري[22] – يأتي على سبعة أقسام: إما شيء لم يُسبَق إليه فيخترعه، أو شيء ناقص فيتمه، أو شيء مغلق يشرحه ويبينه، أو شيء طويل يختصره، أو شـــيء متفرق فيجمعه، أو شـــيء مختلط فيرتبه، أو شـــيء أخطأ فيه مؤلفه فيصلحه".

قواسم مشتركة بين الماوردي ورزنيك:

ومع هذا، فثمة قواسـم مشـتركة بين كلا المؤلفين: الماوردي وديفيد رزنيك، منها – مثلًا – تأكيد كل منهما على أهمية العلم، واهتمام كل منهما بالأخلاقيات العامة التي يجب مراعاتها بالنسـبة للمنتسـبين للعلم – بشـكل عام – وعلى وجه الخصوص بالنسبة للعلماء وطلاب العلم عند الماوردي والباحثين والعلماء والبيئة العلمية عند رزنيك. كما أكد كل منهما على الحرص على العلوم المفيدة التي تعود بالنفع والخير العام على المجتمع والناس. كما أكد كل منهما على ضـــرورة نشـــر العلم وإتاحته على نطاق واســـع لما له من تأثير إيجابي على الجميع، وضرورة توافر الاحترام العام والمتبادل بين العلماء والمتعلمين والباحثين.

الهوامش والتعليقات:

(1) د. مصطفى سويف (2006). أخلاقيات الأستاذ الجامعي. مجلة الهلال، عدد أكتوبر. القاهرة. ص 58.

(2) أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي (1978). أخلاق العلماء. رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

(3) ابن عبد البر، أبى عمرو يوسف (1994). جامع بيان العلم وفضله. تحقيق أبى الأشبال الزهيري. الطبعة الأولى. دار الجوزي، المملكة العربية السعودية. ص 501-529.

(4) ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي (2014). أيها الولد. الطبعة الثانية. دار المنهاج للنشر والتوزيع. لبنان.

(5) عبد الله عبده العواضي (2015). آداب العالم والمتعلم من فتح الباري لابن حجر جمعًا وترتيبًا وتعليقًا. مكتبة الجيل الجديد. صنعاء.

(6) الماوردي، أبى الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (2013). أدب الدين والدنيا. الطبعة الأولى. دار المنهاج للنشر والتوزيع. لبنان.

(7) المصدر السابق، ص 118.

(8) المصدر السابق، ص 125.

(9) المصدر السابق، ص 120.

(10) المصدر السابق، ص 121.

(11) المصدر السابق، ص 130.

(12) المصدر السابق، ص 133

(13) المصدر السابق، ص 136.

(14) المصدر السابق، ص 142.

(15) المصدر السابق، ص 143.

(16) المصدر السابق، ص 144.

(17) ديفيد ب. رزنيك (2005). أخلاقيات العلم: مدخل. ترجمة: د. عبد النور عبد المنعم؛ مراجعة د. يمنى طريف الخولي. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد رقم 316.

(18) د. يمنى طريف الخولي، من تصديرها للكتاب السالف المصدر رقم 1، ص12.

(19) يرجع القارئ في ذلك، على سبيل المثال، إلى مؤلفات الدكتور أحمد فؤاد باشا ؛ وكتاب الدكتورين إبراهيم بدران وعلي علي حبيش: "نحو حضارة إسلامية أساسها العلم والإيمان"؛ وكتابات الدكتور أحمد شوقي ، أستاذ علم الوراثة ؛ وكتاب: "الاستنساخ بين العلم والدين" للدكتور إبراهيم بدران رئيس لجنة القيم الطبية وآخرين؛ وهناك أيضا كتاب " حقوق الحيوان وأخلاقيات الإنسان" للدكتور عبد اللطيف موسى عثمان؛ وكتاب "العلم والدين" للدكتور محمد عبد العظيم سعود ؛ وكتاب "الإسلام والعلم" للدكتور منصور محمد حسب النبي، إلى غير ذلك من مؤلفات وتصنيفات، هذا بخلاف البحوث والدراسات التي تُنشر في المؤتمرات العلمية والفلسفية، وفي الدوريات المتخصصة التي تهتم بهذه المسائل.

(20) ولو ترجمها المؤلف بـ "النسبية" لكان ذلك أدق وأفضل، إلا أنه هنا يريد أن يميز بين هذه النسبية ونسبية (أخرى) Relativity، تلك التي أطلقها أينشتين على نظريته، بيْد أنه لن يكون ثمة التباس، فهذا مجال وذاك مجال آخر.

(21) أبو الفتح عثمان بن جني (1952). "الخصائص": تحقيق محمد علي النجار، الجزء الأول. أخرجته المكتبة العلمية عن طبعة دار الكتب المصرية ـــ القسم الأدبي. ص ص190. 191.

(22) الشيخ أحمد بن محمد المقرّي التلمساني (1968). "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، المجلد الثالث. تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر. بيروت. ص 176.